

Column of ancient Arabic poetry 'The concept of the term and its characteristics'

Dr. Abdelkrim Rouibi

University of Chadli Bendjedid -El Tarf (Algeria), E-mail: rouibiabdkrim@gmail.com

Received: 11/2024, Published: 12/2024

Abstract:

This term raises a problem about the concept, given its differences among the ancient critics themselves, so we will trace the term historically, and we will see how Arabic critics accepted it, and considered it one of the most important critical issues in ancient Arabic poetry, if many critics paid attention to it, trying to find out the most important rules of the poem. Traditional Arabic, and the elements of its construction, whether in its form or content, so we will look at its concept, components, and factors for its emergency.

Keywords: column, poetry, term, concept, old.

عمود الشعر العربي القديم "مفهوم المصطلح وخصائصه"

د. عبد الكريم رويبي

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف (الجزائر)، البريد الإلكتروني: rouibiabdkrim@gmail.com

الملخص:

يُطرح هذا المصطلح إشكالية حول المفهوم، بالنظر لتباينه عند النقاد القدامى أنفسهم، لذا سنتتبع المصطلح تاريخياً، وسنرى كيف تلقفه نقاد العربية، واعتبروه من أهم القضايا النقدية في الشعر العربي القديم، حيث اهتم بها العديد من النقاد، محاولين الوقوف على أهم قواعد القصيدة العربية التقليدية، ومقومات بنائها سواء في شكلها أو مضمونها، لذلك سنقف على مفهومه ومقوماته وعوامل ظهوره. الكلمات المفتاحية: عمود، الشعر، مصطلح، مفهوم، القديم.

1-مقدمة

نتنظر من المقال أن يجيب عن التساؤلات التالية:

1- ما مفهوم عمود الشعر؟

2- ماهي أهم الاختلافات بين النقاد؟

3- ماهي عناصر عمود الشعر؟

4- ماهي الخلفية المعرفية المعتمدة لتحديد مفهومه؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، نتبعنا المصطلح تاريخياً من أمهات الكتب القديمة والحديثة، وحاولنا من خلال الاستقراء والاستنتاج، أن نضع أهم المفاهيم التي رأيناها دقيقة للمصطلح، وخلصنا إلى أن المصطلح هناك من أشار إليه، وهناك من أطلق عليه التسمية، وهناك من رفض خلفيته المعرفية، وعلى كل ستجدون في هذا المقال جل القراءات النقدية لمصطلح عمود الشعر.

1- مفهوم عمود الشعر:

- (أ) لغة:

عمود البيت وهو الخشبة القائمة في وسط الخباء، ج، أعمدة و عمد و عمود الأمر، قوامه الذي لا يستقيم إلا به و العميد، السيد المعتمد عليه في الأمور أو المعمود إليه. (1)

أعمدة و عمد و السيد كالعמיד و من السيف شظيته التي في ثمته و رئيس العسكر أو عمود البطن، الظهر و من الكبد عرق يسقيها و العماد الأبنية الرفيعة، عمد الثري، كثير المعروف و أنا أعمد منه، أي أعجب و العمدة ما نعتمد عليه.

عمد: و ترجع إلى المعنى، وهي الاستقامة في الشيء منتصباً و ممتداً و من ذلك عمدت فلانا و أنا أعمده عمداً، و العمد نقيض الخطأ. و العمد: أن نعمد الشيء و يعمد بمسكه و يعتمد عليه و قال "ابن دريد" عمدت الشيء أسندته و الشيء يسند إليه عماد و جمع العماد عمد، و يقال عميد و معمود و معمد قال الخليل: "العمد أن تكاب أمراً بجد و يقين" (2)

- (2) اصطلاحاً: هو طريقة العرب في قول الشعر لاما أحدثه المولدون والمتأخرون أو هي القواعد الكلاسيكية للشعر العربي التي يجب على الشاعر أن يأخذ بها فيحكم له أو عليه بمقتضاها.

و يعرف بأنه التقاليد الشعرية المتوارثة أو السنن المتبعة عن شعراء العربية و من سار على هذه السنن و راعى تلك التقاليد قيل عنه أنه ألتزم السنن و من خالف طريقة العرب قيل عنه أنه خرج عن عمود الشعر "3 و يلاحظ في المعنى المعجمي أنه لم يذكر ارتباط كلمة العمود بالشعر كما هو الأمر في المعنى الاصطلاحي إلا أن هذا لا ينبغي أن يكون المعنى الاصطلاحي مستوحى من المعنى اللغوي فكما أن خشية بيت الشعر هي الأساس الذي يقوم عليه ذات البيت فإن أصول الشعر العربي و عناصره التي يشير إليها المعنى الاصطلاحي يعد أيضا بمثابة إلا عامة و الركيزة الأساسية التي يقوم نظم الشعر الجيد الصحيح (3).

- 3- تاريخيا:

عمود الشعر العربي يقصد به نظام القصيدة العربية التقليدية خاصة في مبنائها ، و التي واكبت العصر الجاهلي حتى ظهر الخليل و قام "بوضع علم العروض و الذي استنسخ منه أن العرب وضعت شعرها جملة على خمسة عشرة بحرا موسيقيا و أضاف تلميذه الأخفشى بحرا موسيقيا آخر و انبعث بعضها بعض في هذه الأوزان فلم تخرج عنه فكان الشاعر يقول قصيدته من أولها لأخرها على نفس النسق الموسيقي الذي بدأ به القصيدة فلا يخرج عنه البشّة و كان أشهر هذه الأوزان " الطويل ، الكامل ، البسيط ، الرمل ، المديد ، الهزج ، الخفيف ، الرجز " (4) أما بقية الأوزان الموسيقية ، فقد جاءت عنهم و لكن بقلة في قصائدهم و المشهور منها ما تقدم ذكره ، هذا هو المفهوم الأول لعمود الشعر العربي و لكن هذا المفهوم مرتبط بمفهوم آخر بالشعر العربي ، وهو أن الشاعر العربي كان حيث يقول قصيدته بقولها على نسق فكري معين متأثر بطبيعته و بمن سبقه و بمن حوله ، و لعله بذلك يقولها في فترات متباعدة كما عرف عن أصحاب الحوليات ، فتأني قصيدته مختلفة الموضوعات أو نستطيع أن نعتبرها محكمة التقسيم في موضوعاتها فكان لا بد أن يقف على الأطلال و نتاجي الحبيب ثم يصف رحلته ثم يصف وصف دقيقا حسب جمليات جدا ثم يتقنن بأروع الصور التي تأتيه بمخيلته الواسعة ثم يأتي على موضوعه الأساسي في القصيدة من مدح أو غزل أو هجاء أو عتاب ، و في كل قسم من أقسام قصيدته يكون حسنا في تنقله من موضوع إلى آخر وهو ما عرفه النقاد القدماء بحسن التخلص. (5)

و عليه ف " عمود الشعر العربي يقصد به المحافظة على وزن الشعر العربي التقليدي الذي جاء عن العرب و وضع أصول قواعده الخليل بما عرف عنه بعلم العروض و متابعة العرب في قول قصيدتهم في الوقوف على نفس الموضوعات بتقسيماتها الجمالية عرفت عنهم " (6)

و هو ما لم يقتنع به المحدثون ، فجاء عنهم أوزان غير معروفة كما لم يتناولها الشاعر العربي بهذه الطريقة و حتى الموضوعات داخل القصيدة لم تكن مقسمة.

4- مقومات عمود الشعر:

إن عناصر عمود الشعر عند المرزوقي تعتمد على طريقة العرب في قول الشعر و التي تتمثل في مايلي:

- عيار الإصابة في الوصف ، الذكاء و حسن التمييز .
- عيار اللفظ المستقيم في مفرداته و جملته ، لأن اللفظة تستكرم بانفرادها .
- عيار المقاربة في التشبيه ، الفطنة ، و حسن التقدير حتى قبل أن أقسامه ثلاثة مثل سائر ، تشبيه نادر ، استعارة قريبة .
- عيار التحام أجزاء النظم .
- عيار الاستعارة: الذهن و الفطنة و تقريب التشبيه في الأصل .
- عيار مشاكلة اللفظ للمعنى و شدة اقتضائهما للقافية و طول الدربة و دوام المدارس (7) ، و هذه هي المعايير التي استعملها المرزوقي (العقل ، الصحيح ، الفهم الثابت ، الطبع ، الرواية ، الاستعمال ، الذكاء و حسن التمييز ، الفطنة ، و حسن التقدير ، طول الدربة ، دوام المدارس) (8)

و يعارض الجرجاني المرزوقي في هذه المعايير ، حيث يرى الأول أنها يجب ان تتوفر في المتلقي و ليس في الشاعر عكس المرزوقي. كذلك لو سئل المرزوقي مرة أن يضع أبي تمام مثلا أو المتنبي هل أحدهما أو كلاهما خارج عن عمود الشعر فكان الجواب حاسما و قاطعا

فوضع أبو تمام في المبنى لعناصر عمود الشعر أن يقرأ القصيدة العربية في ضوءها أن يوجه المتلقي إلى الاستفادة بها في إنتاج النص الشعري الخاص لخصوصية أسلوبية تمثل صاحبه (9).

يعد عمود الشعر ركيزة أساسية في بناء القصيدة العربية، احترمتها الشعراء والنقاد كذلك، وهو عكس ما ذهب إليه بعض المحدثين من النقاد على " أن النقد و الشعر قد أصيب بالجمود من خلال تأكيد النقاد على تلك النظرات النقدية على السابقين مشيراً إلى أن الشعر العربي قد أصيب بالتقليد أولاً عندما خاف اللغويون من تحضر اللغة فاتخذوا من القديم نماذج يحتدبها المحدثون و ثانياً عندما تبلورت نظرية عمود الشعر تبلورا شديداً أصيل لم يسمح بالثورة عليها و الواقع أن هناك جملة واحدة للنقاد على عمود الشعر منها أن إلى الشعراء أن يسلكوا سبيل من سبقوهم فلا يشدوا عن سنن الأقدمين (10).

5- عمود الشعر عند المرزوقي:

هو أبو علي، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي من أهل أصفهان عالم بالأدب و اللغة وصف بأنه غاية في الذكاء و الفطنة ، و حسن التصنيف و إقامة الحجج و حسن الاختيار، و خلق عدد من المصنفات وصل إلينا بعض مطبوعاً أو محفوظاً ، و ما يزال الآخر مفقوداً منها " شرح ديوان الحماسة " الأزمنة و الأمكنة " شرح الموجز في النحو و غيرها تعرض المرزوقي (421هـ) الحديث عن عمود الشعر في المقدمة التي كتبها على شرحه لحماسة أبي تمام ، فقد مهد لشرحه بمقدمة نقدية قيمة عالج فيها عدد من القضايا النقدية المهمة منها " عمود الشعر " (11) وهو السبب المباشر في ظهور هذا المصطلح.

و على هذا الأساس نستطيع أن نقول إن نظرية "عمود الشعر" رحية الأكتاف واسعة الجذبات و أنها لا يخرج من نطاقها شاعر عربي أبداً و إنما تخرج قصيدة لشاعر أو أبياتاً في كل قصيدة و قد أساء الناس في فهم هذه النظرية و حملوها من السيئات الشيء الكثير و لكنها أساس كلاسيكي فالثورة عليها لا تكون إلا على أساس رفض الشعر العربي جملة بل إن المرزوقي زاد اتساع هذه النظرية حيث جعلها ذات وسط و طرفين فأما أن يعمر الشاعر إلى تحقيق هذه العناصر عن طريق الصدق و إما أن يذهب الغلو و إما أن يكون معتمداً بين و بين و لكل جانب أنصاره الذين يؤثرونه و إذا كان النقاد قبل المرزوقي قد انقسموا في فئتين ففئة تقول أحسن الشعر أكذبه ، و أخرى تقول أحسن الشعر أصدق فإنه قد زاد ثالث تقول أحسن الشعر أقصده ، كذلك نستطيع أن نقول أن المرزوقي استطاع أن يقدم لنا دراسة نقدية تطبيقية لأركان عمود الشعر العربي بما قرته في بلاغة الشعر معنى و ألفاظاً و أسلوباً و صورة (12).

6- ظهور مصطلح عمود الشعر:

لم يرد المصطلح بهذه التسمية إلا عند الأمدي:

فقد يكون الأمدي قد تنبه للمصطلح عند "الجاحظ" في كتابه {البيان و التبيين} فقد جاء فيه: "أخبرني محمد عباد بن كاسب" ... قال سمعت أبا داود بن حرير يقول: "رأس الخطابة الطبع و عمودها الدراية و جناحها رواية الكلام و حليها الإعراب" (13) أو قوله: " و كل شيء للعرب فإنما هو بديهة و ارتجال و كأنه إلهام ، و ليس هناك معاناة و لا مكابدة ... و إنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام و إلى وجز يوم الخصام... فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب و إلى العمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني إرسالاً" (14) و قد صرح الأمدي بلفظ عمود الشعر أكثر من مرة بوصفه شيئاً معروفاً و متداولاً بين الناس ، ثم نص صراحة على أن البحري قد التزم هذا العمود و لم يخرج عليه و " يقال أن البحري كان أعرابي الشعر ، مطبوعاً ، و على مذهب الأوائل و ما فارق عمود الشعر المعروف " (15)

في حين يرى الأمدي أن أبا تمام خرج عليه ، و لم يقم به كما قال البحري حيث قال على لسان البحري الذي سئل عن نفسه و عن أبي تمام فأجاب " كان أغلظ على المعاني مني و أنا أقوم بعمود الشعر منه " (16)

ويؤكد هذا الطرح تماهي الأمدي مع هذا المصطلح قائلا " و ليس الشعر عند أهل العلم به إلى حسن التأتى و قرب المأخذ و اختيار الكلام ووضع الألفاظ في موضعها و أن يورد المعاني باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله و أن تكون الاستعارات و التمثيلات لانقة بما استعرت له و غير هنا قررة لمعناه فإن الكلام لا يكتسى البهاء و الرونق إلا إذا كان بهذا الوصف و تلك طريقة البحري " (17)
فطريقة البحري هذه كما يتحدث عنها الأمدي لم تنف أن يكون فيها صنعة كما أن البحري كان يأخذ من فنون البديع و أشكاله حتى كاد بعض النقاد أن يلحقه بأبي تمام في ذلك و يجعلها طبقة واحدة كما فعل "ابن رشيق القيرواني " حينما قال " و ليس يتجه البث أن يتأتى من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنعة من غير قصد كالذي يتأتى من أشعار حبيب البحري و غيرهما فقد كان يتطلبان الصنعة و يولعان بها " (18) إذن يمكن القول بأن عمود الشعر عند الأمدي لا تبتناقض مع الصنعة ما دامت في حدود مقبولة .

7- كيف يرى الأمدي المصطلح:

كما ذكرنا سابقا أن الأمدي قد بدأ في مصطلح عمود الشعر معترفا للبحري لأنه أكثر التزاما بتقليد أساليب القدماء في الشعر تلك الأساليب التي يسير إليها هذا المصطلح. (19)
فكان أول من أسس له بعدما كان " الجاحظ " قد ألمح إليه إذن فالأمدي تحدث من خلال عمود الشعر عن تصويره للشعر و طرائقه و مناهجه من خلال شعر البحري أنموذجا للشعر القديم قد تحدث عنه من حيث الأسلوب و المعاني و من حيث التخيل و الصور أما الأسلوب فإن عمود الشعر ينشد في الألفاظ السهلة و الألفاء و ألا تكون ألفاظ حواسبه غريبة و الشعر يؤثر السهولة و الوضوح و يتجه إلى الشعر القريب الذي يخاطب القلب من أسهل الطرق ، و بالتالي فهو ينفر من كل ما يمكن أن يفسد في الشعر بساطته و يبغده عن عفويته أو بعده و يغمضه ، فالأمدي ينفر من الفلسفة و الأفكار الدقيقة إذا دخلت في نسج الشعر لأنها تجعله بحاجة إلى استنباط إدامة النظر و التفكير .
إذن فأصحاب عمود الشعر هم من أنصار اللفظ الذين يكون الفضل عندهم لسلامة السبك و جودة الوصف و دباجة الشعر و حسن اختيار الألفاظ و إقاعها في الجملة، موقعها الملائم بحيث تكون مشاكلة لما قبلها و ما بعدها و ملائمة للمعنى الذي استعملت فيه بلا زيادة و لا نقصان . (20)

ويركز الأمدي على المعايير التالية للحكم على عمود الشعر "قرب الاستعارة و هذا القرب يتأتى إذا كانت العلاقة واضحة بين المشبه و المشبه به ، و كلما كانت هذه الصلة واضحة بين الركنين و كان وجه الشبه الذي يربطهما متميزا جليا كانت الاستعارة قريبة و بالتالي مستحسنة كما أن الاستعارة تكون قريبة حينما تحمل اللفظة المستعارة معنى أو فكرة تصلح له أو لا تتناسب معه فهي عند إذن استعارة مستكرهة و يقول "الأمدي " و إنما تستعار اللفظة لغير ما هي له إذا احتملت معنى يصلح لذلك الشيء الذي أسعيرة له و يليق به لأن الكلام مبني على الفائدة في حقيقته، و مجازة و إذا لم يتعلق اللفظة المستعارة بفائدة في النطق فلا وجه لاستعارتها. (21)
ويحذ فيه الألفاظ البسيطة المتداولة الواضحة، التي يجب أن تتوفر في الشعر، حيث يرى الأمدي الشعر على أنه " تصوير للأحاسيس و العواطف ، و هو حديث إلى القلب و المشاعر فهو بذلك ينفر من المعاني الصعبة و الأفكار الدقيقة التي تحوج إلى طول تأمل و تفكير و إلى استنباط و استخراج . (22)

و لذلك نجده ينتصر "للبحري لأنه كان يتجنب التعقيد و مستكره الألفاظ و وحشي الكلام ، أما أبو تمام فإنه في رأيه فارق عمود الشعر لأنه شديد التكلف صاحب صنعة و يستكره الألفاظ و المعاني أما من حيث الخيال فمن الواضح أن عمود الشعر يهتم بالصنعة و يرى فيها مزية و فضلا وهو يدعوا إلى الأخذ بها و الاهتمام بإنشاء و لكن أن لا يتجاوز المألوف و أن لا تبلغ حد الإفراط و الإسراف فتصل إلى التكلف و التصنع الممقوت. (23)

8- كيف يرى الجرجاني عمود الشعر:

ينجيه الجرجاني اتجاهها آخر في تحديده المفهوم، فيركز على المعنى قبل الشكل، مم يدل على تأثير مفهوم اليونان للشعر خاصة عند أرسطو يقول: "كانت العرب أنما تفاضل بين الشعراء في الجودة و الحسن بشرف المعنى و صحته و جزالة اللفظ و استقامته و تسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، و شبه فقارب، و لمن كثرت سوائر أمثاله و شوارد أبياته (24)" فمن هنا كانت معظم العناصر التي تحدث عنها "الجرجاني" على أنها مقياس المفاضلة السبق بين الشعراء، و كذلك معيار الشعر الجيد و هذه تكاد تكون عناصر عامة تتوافر في الشعر القديم مثلما تتوافر في الشعر الحديث، كذلك معيار الشعر الجيد. فمثلا ذكر " الجرجاني " صحة المعاني، إصاابة الوصف استقامة اللفظ و الغزارة في البيهية و كثرة الأمثال السائرة و الأبيات الشاردة، فهي ليست خصائص الشعر القديم فقط، و لا هي مقصورة عليه و إن منها ما يعد أصلا من أصول الشعر الذي لا يستغني عنه و لا يقوم إلا به في أي عصر كان. "25"

فالجرجاني من خلال حديثه عن عمود الشعر يكشف لنا أن الأمدى قبله أفاض في القضية، وهو يدرك المأخذ التي يمكن ان تؤخذ على تناوله لها، و عليه لم يترك الجرجاني مفهوم عمود الشعر ينحصر في شعر أبي تمام، و لا في شعر البحتري.

9- الخاتمة

- 1-عمود الشعر مفهوم نقدي تقليدي ارتبط بنظام بناء القصيدة العربية التقليدية.
- 2-عمود الشعر لا يقتصر على بناء القصيدة، وإنما يتجاوز ذلك إلى المعاني، وهو ما ذهب إليه الجرجاني.
- 3-لم يعد عمود الشعر العربي، قاعدة أساسية في الحكم على الشعر والشاعر.
- 4-مصطلح عمود الشعر حديثا تجاوز المرسل ليركز على المتلقي.
- 5-الأمدي أول من أطلق هذه التسمية، وقد أشار إليها الجاحظ دون تسميتها.

- الهوامش

- 1-ابن منظور الأنصاري الإفريقي، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد 08 (ع. غ.)، فصل العين، ص 332.
- 2-فيروز أبادي، قاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 01، 2009، ص 380.
- 3-أبي الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الجبل، 1992، المجلد 04، ص 137.
- 4-وليد قصاب، قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم، المكتبة الحديثة، ط 02، ص 146.
- 5-إميل بديع يعقوب، المعجم المفضل في علم العروض والقافية و فنون الشعر، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، لبنان، 1991، ص 338، 339.
- 6-وليد قصاب، قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم، ص 146.
- 7-إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص 338.
- 8-إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، ط 04، بيروت، 1983، ص 406.
- 9-عبد الهادي خضير، النقد التطبيقي عند المرزوقي، شاعر الحماسة، دار الصفاء، ط 01، 2001، 1432 هـ، ص 10.
- 10-إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي، ص 406.
- 11-عبد الهادي خضير، النقد التطبيقي عند المرزوقي، ص 11.
- 12-ر إبراهيم مخلوف عبد العزيز، عمود الشعر العربي، دار البلاغة، 1968، ص 18.
- 13-المرجع نفسه، ص 19.
- 14-الجاحظ، البيان و التبيين، ص 44.
- 15-المرجع نفسه، ص 84.
- 16-الأمدي، الموازنة بين الطائيين، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 2006، ط 01، ص 04.
- 17-المرجع نفسه، ص 12.
- 18-الأمدي، مرجع نفسه، ص 18.
- 19-المرجع نفسه، ص 422.
- 20-العمدة في محاسن الشعر و أدابه، ابن رشيق القيرواني، دار الكتب العلمية، 2001، ص 214.
- 21-الأمدي، الموازنة بين الطائيين، ص 483.
- 22-المرجع نفسه، ص 423.
- 23-المرجع السابق، ص 201.
- 24-المرجع نفسه، ص 201.
- 25-الجرجاني، الوساطة بين المتنبي و خصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، د ت، 1966، ص 35.

- المراجع:

- 1- ابن منظور الأنصاري الإفريقي، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد 08 (ع. غ.)، فصل العين
- 2- إبراهيم مخلوف عبد العزيز، عمود الشعر العربي، دار البلاغة، 1968، دط
- 3- ابي الحسن احمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الجبل، 1992، مجلد 4، 1968
- 4- اميل بديع، المعجم المفضل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، ط 1، لبنان، 1991.
- 5- الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، 1996. دط
- 6- الامدي، الموازنة بين الطائيين، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط 1، 2006

- 7- عبد الهادي خضير، النقد التطبيقي عند المرزوقي، دار الصفاء، ط1، 2001
- 8- وليد قصاب، قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم، المكتبة الحديثة، ط2، 2010
- 9- العمدة في محاسن الشعر وادابه، ابن رشيق القيرواني ، دار الكتب العلمية، ط1، 2001